بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإيمان وإحسان الى يوم الدين.

أما بعد :

فإن موضوع الاسراء والمعراج من المواضيع التي كثر الحديث فيها وتنوع الكلام عليها بتنوع المنطلقات التي ينطلق منها المؤلفون وهم يعملون النظر فيه، فمنهم من ينظر اليه بإعتباره معجزة من معجزات نبوته ﷺ ودليل صدق على تلك النبوة ،ومنهم من ينظر اليه بإعتباره نوعا من التكريم الالهي له ﷺ ، ومنهم من قال ان الاسراء والمعراج حدثا بالروح والجسد ومنهم من قال انه حدث بالروح دون الجسد ، فهو من قبيل مما يرى النائم في منامه، ولكل فريق منهم ادلةيستدل بها على ما يذهب اليه.

قال الامام النووي في شرحه على صحيح مسلم:"وقد لخص القاضي عياض في الاسراء جملة حسنة نفيسة فقال:إختلف الناس في الاسراء برسول الله ﷺ فقيل انما كان جميع ذلك في المنام ،والحق الذي عليه اكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين انه أسري بجسده ﷺ ، والاثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل ،ولا إستحالة في حملها عليه فيحتاج الى تأويل"[1]

---

١. ــ شرح النووي على مسلم ٢٠٩/٢ ،ابو زكريا شرف الدين النووي (ت٦٧٦ هـ) ط ٢ لسنة ١٤٠٧ ، دار الكتاب العربي، بيروت.

ومما يثبت أن الاسراء لم يكن معجزة للنبيﷺ أنه لم يكن سببا في اذعان المشركين بل كان مدعاة لتكذيبه والتشكيك في صدقهﷺ من قبل المشركين وضعاف الايمان يشهد لذلك ما رواه ابن ابي شيبة في مصنفه بسنده الى ابن عباس قال :رسول الله ﷺ " لما كان ليلة أسري بي أصبحت بمكة قال : فضعت بأمري وعرفت ان الناس مكذبي ،فقعد رسول اللهﷺ معتزلا حزينا فمر به ابو جهل فجاء حتى جلس اليه فقال كالمستهزئ:هل كان من شيء؟ فقال : نعم : قال وما هو ؟ قال . أسري بي الليلة ،قال الى اين ؟ قال . الى بيت المقدس ،قال ثم اصبحت بين أظهرنا ؟ قال : نعم ، فلم يرد أن يكذبه مخافة أن يجحد الحديث إن دعا قومه اليه ، قال أتحدث قومك ما حدثتني إن دعوتهم اليك ؟ قال نعم ، قال هيا معشر بني كعب بن لؤي هلموا، قال فتنقضت المجالس فجاؤا حتى جلسوا اليهما ، فقال : حدث قومك ما حدثتني ، قال رسول الله ﷺ : إني اسري بي الليلة ، فقالوا الى اين قال : الى بيت المقدس ، قالوا ثم اصبحت بين اظهرنا ؟ قال : نعم ،قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب زعم ، وقالوا أتستطيع ان تنعت لنا المسجد ؟ قال وفي القوم من سافر الى ذلك البلد ورأى المسجد، قال رسول اللهﷺ :فذهبت انعت لهم ،فما زلت أنعت حتى البس علي بعض النعت ، فجيء بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع دون دار عقيل أو دار عقال : فنعته وانا انظر اليه،فقال القوم :أما النعت فوالله لقد أصاب "[1]

ونحن في بحثنا هذا لا نريد أن نستقصي هذه الاقوال لأن هذا ليس هو موضوع بحثنا، وإنما اردنا في هذ البحث البسيط أن نثير مسألة ربما لم نسبق الى اثارتها من قبل ، وهي محاوله الاجابة على سؤال كبير وهو : هل هناك بشارة في القران بوقوع الاسراء قبل زمن حدوثه ؟

---

(١)المصنف لابن ابي شيبة ٤٤٦/٨ ،ابو بكر غبدالله بن محمد بن ابي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥ هـ) تحقيق كمال يوسف الحوت ،ط ١ ،مكتبة الرشد ـ الرياض ـ ١٤٠٩ .

فأن كانت الاجابة بنعم فهو امر يحتاج الى دليل وهو ما يحاول هذ البحث ان يقدمه وان كانت الاجابة بلا فيكفي ان نكون قد لفتنا الانظار الى افاق جدير بالباحثين ان يتطلعوا اليها ، والله من وراء القصد وهو يهدي الى سواء السبيل

الآيات التي يجب الوقوف عندها

هناك جملة من الايات القرآنية يجب الوقوف عندها وامعان النظر في مدلولاتها لانها تشكل في حقيقة الامر الاساس الذي يدور عليه هذا البحث ، وهذه الايات بحسب ورودها في القرآن الكريم هي :

{وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ }يونس
٤٦

{وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ }الرعد٤٠

{قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُون ٩٣ ۝رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ{٩٤} وَإِنَّا عَلَى أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ{٩٥} }المؤمنون

{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ }غافر٧٧

فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ{٤١} {أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ }الزخرف٤٢

والذي ينظر في هذه الايات يجد أنها تشترك في امر شديد الوضوح وهو ان الله سبحانه وتعالى سيري محمداًﷺ ماوعد البشر مؤمنين أو غير مؤمنين وإن كان سياق الخطاب يجعل غير المؤمنين كثر دخولاً في النص من غيرهم .

وفي سبيل أن نقترب اكثر من تفسير هذه الايات لابد الى بعض المسائل لكي تكون ماثلة في اذهاننا ونحن نحاول فهم[1] هذه الايات .

المسألة الاولى : كيف ننظر الى الوعد القرآني ؟

واعني بالوعد القرآني ماوعد الله به في القران الكريم ، فنحن نؤمن ان كل وعد جرى في القران الكريم فلا يخرج عن كونه قد تحقق بالفعل أو جار في طريقه الى التحقيق قال تبارك وتعالى (وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ)(التوبة: من الآية١١١)

فالله سبحانه وتعالى إذا وعد أوفى فلا يصح ان يأمر الله عباده بالوفاء بقوله : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً)(الاسراء: من الآية٣٤) ثم لا يوفي سبحانه ما وعد به نبيه محمد ﷺ ، ولا يصح كذلك ان يفي الانبياء بوعودهم ويسجل الله لهم هذا في القرآن ثم لا يوفي الله بوعده سبحانه وتعالى ،فقد قص الله تبارك وتعالى علينا قصة ابراهيم مع ابيه وكان من ضمنها قول الله تعالى على لسان ابراهيم : (قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً) (مريم:٤٧)

ونقل الله تبارك وتعالى لنا هذا الوفاء في في موطن اخر فقال : (وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ) (الشعراء:٨٦)

وعلل سبحانه هذا الاستغفار بسبب الوعد السابق بقوله : (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) (التوبة:١١٤)

اذا فالذي نخرج به من هذه المسألة ان هذا الوعد الرباني الموجود في الايات

---

(١)اقول فهم ولا اقول تفسير لان المسلم الذي لا يملك الة التفسير لايحق ليفسر كلام الله لكنه لا يمنع ان يكون له فهم لكلام الله تبارك وتعالى.

الخمس لا بد انه تحقق في حياته ﷺ بقطع النظر عن ماهية هذاالوعد للاسباب التي قدمناها.

المسالة الثانية : أن النبي ﷺ أمر أن يدعو الله لتحقيق هذا الوعد:

وهذا ما امر به نبينا محمد ﷺ بقوله تعالى :)قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ) (المؤمنون ٩٣)

ويجب ان نعرف ان الانبياء هم اكرم خلق الله على الله سبحانه وتعالى وان دعوتهم مستجابة لكرامتهم على الله سبحانه .

فهذا سيدنا نوح حينما دعا ربه ان يهلك الكفار ويبيدهم من وجه الارض جميعا : (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً) (نوح:٢٦) فستجاب الله له على عظم هذه الدعوة واباد الكافرين من على وجه البسيطة قال تعالى :

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢ القمر)

وهذا سيدنا ابراهيم دعا ربه قبل اكثرمن اربعة الاف سنة ان يبعث في ذرية اسماعيل نبيا يتلو عليهم ايات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ؛ قال تعالى على لسانه(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (البقرة:١٢٩) :فاستجاب الله لهذه الدعوة بعد اكثر من ثلاثة الاف سنة قال تعالى : (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (آل عمران:١٦٤)

وقال تعالى :(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (الجمعة:٢)

ولهذا ثبت عن سدنا محمد ﷺ انه قال :" انا دعوة ابي ابراهيم "[١]

وهذا سيدنا موسى لما رأى عناد فرعون وطغيانه دعا الله ان يقربه من الايمان ساعة لا ينفع نفس ايمانها ليكون ذلك الايمان حسرة وندامة حينما يفوت الاوان قال تعالى على لسان موسى عليه السلام :(وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) (يونس:٨٨) فاستجاب الله لسيدنا موسى وجعل فرعون يتشبث بالايمان بعد ان رأى العذاب الاليم : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (يونس:٩٠)

فما ظنك بدعوة سيد المرسلين ان يريه الله بعض مايوعدون وهو النبي الذي ما دعا بدعوة خاصة لنفسه ﷺ . الا ان تستجاب لسببين ؛

الاول: لكرامة النبي ﷺ على الله تعالى وان الاستجابة لذلك واقعة ضمن سنة من سنن الله تبارك وتعالى، ولن تجد لسنة الله تحويلا .

الثاني : ان قدرة الله لا تحدها حدود لقوله تعالى بعد دعوة النبي ﷺ : (وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون) (المؤمنون /٩٥) .

---

(١)الدرالمنثور للسيوطي ١ / ١٣٩ ، للحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ط ١ ـ ١٣٦٥ هـ مطبعة الفتح جدة .
وعيون الاثر لابن سيد الناس ١ / ٥٠ ،(ت ٧٣٤ هـ) مطبعة مؤسسة عز الدين .

المسألة الثالثة : **الاقتران الزمني بين نزول هذه الايات وزمن حدوث الاسراء والمعراج** :

إن المتتبع لزمن حدوث الاسراء لا يكاد يجد خلافا بين العلماء أنه حدث في العهد المكي ، فلم يقل احد من العلماء انه حدث بعد الهجرة . هذا اولاً ، وثانياً فان جمهور العلماء قد نصوا على ان الاسراء قد وقع في السنة الاخيرة من العهد المكي ، كما نقل ذلك النووي عن الحربي[١] حيث قال:" كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الاول قبل الهجرة بسنة"[٢] ، وصرح به ابن كثير عن الزهري انه قال اسري برسول اللهﷺ قبل الهجرة بسنة"[٣] وإن كانت هناك اقوال اخرى فأنه لا يلتفت اليها لمخالفتها الشائع المعروف من تاريخ السيرة .

اذا عرفنا هذا فمن المناسب ايضا أن نعرف ايضاً أن جميع السور التي وردت فيها هذه البشارات جميعا من السور المقطوع بمكيتها بإستثناء سورة واحدة اختلف العلماء في الحكم فيها ، فالسور التي اجمع العلماءعلى مكيتها والتي وردت فيها تلك الايات هي على التوالي (يونس ، المؤمنون ، غافر ، الزخرف) أما السور ة التي أختلف فيها فهي سورة (الرعد) قال الدكتور مناع القطان : السور المختلف فيها: اثنا عشر (١٢).

وهي: الفاتحة، الرعد، الرحمن، الصف، التغابن، المطففين، القدر، البينة، الزلزلة، الإخلاص، الفلق، والناس.[٤]

وهذا يعني انه لا توجد سورة من ضمن السور التي فيها تلك الايات تاريخ نزولها يمنع من حملها على ما نريد اثباته في هذا البحث ، وبعبارة أخرى نقول لو كانت

---

(١)هو الشيخ الامام الحافظ ابو اسحق ابراهيم بن اسحق بن ابراهيم بشير البغدادي الحربي صاحب التصانيف ولد سنة ثمان وتسعين ومائة ، كان اماما في العلم رأسا في الزهد عارفا بالفقه بصيرا بالاحكام حافظا للحديث مميزا للعلة ،(سير اعلام النبلاء ١٣ /١٥٨ ،للامام الذهبي(ت٧٤٨ هـ) ،تحقيق شعيب الارنؤوط و حسين اسد ، ط٩ ـ ١٤١٣ ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

(٢) ـ شرح النووي على مسلم ٢ / ٢٠٩

(٣)ـ البداية والنهاية / ابن كثير ٣ / ، ١٠٨ للامام الحافظ ابو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ط١ ـ ١٤٠٨ ، تحقيق علي شير ، دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

(٤)ـ مباحث في علوم القرآن / مناع القطان

هناك سورة واحدة من هذه السور مقطوع بكونها مدنية لامتنع حمل هذه الايات على البشارة بالاسراء لكون الاسراء من احداث العهد المكي بالاجماع ،فلما اتحد زمان الاسراء واعهد نزول هذه الايات زادنا هذا الامر على المضي قدما في سوق الادلة على كون هذه الايات من المبشرات بحدوث الاسراء .

المسألة الرابعة : مراجعة اقوال العلماء في توجيههم لهذه الايات :

واعني بمراجعة اقوال العلماء ان نتعرف على اقوالهم وتوجيهاتهم في تفسير تلك الايات لكي نقف امام حقيقة ربما تنفعنا في بحثنا هذا ، وهذه الحقيقة مفادها أن علماء الامة من المفسرين لم يتفقوا في تفسير هذه الايات بل إختلفوا الى عدة مذاهب ، واختلافهم هذا يخرجنا من دائرة مخالفة الاجماع ، الامر الذي يشجعنا على التصريح بما نريد قوله ،فلسنا اول من خالف جمهور المفسرين في هذه المسألة وسنحاول في هذه العجالة أن نسلط الضوء على هذه التفاسير بما يتحقق معه ابراز اهم المذاهب في هذا الباب . وبناء على ما تقدم يمكن تصنيف اقوال العلماء في توجيهاتهم لهذه الايات الى خمسة مذاهب :

المذهب الاول: وقد حمل اصحاب هذا المذهب الوعد الرباني الموجود في هذه الايات على ما وقع في غزوة بدر من انهزام وانكسار للمشركين، فقد نقل ابو جعفر النحاس عمن سبقه في تفسير قوله تعالى : (وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ) (يونس٤٦) "قال مجاهد أي وإما نرينك العذاب في حياتك أو نوفينك قبل ذلك فألينا مرجعهم وقال غيره يريد بقوله تعالى (وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ وقعة بدر والله اعلم)[1] .

وقال ابن الجوزي في تفسيره لهذه الاية :" (وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) قال المفسرون كانت وقعة بدر مما أراه الله تعالى في حياته من عذابهم"[2]

١ـ معاني القران للنحاس /٣ /٢٩٧ ، ابو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) تحقيق محمد علي الصابوني ،ط١ ـ ١٤٠٩ ،جامعة أم القرآن ، المملكة العربية السعودية.

٢. ـ زاد المسير لإبن الجوزي /٤ /٣٢ ،لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) محمد عبد الرحمن عبدالله،ط١ ـ ١٤٠٧ ، دار الفكر بيروت.

وكذلك نحى القرطبي في تفسيره لهذه الايات ، فقال في تفسيره للاية المعنية ببحثنا من سورة يونس :"ي من إظهار دينك في حياتك، قال المفسرون كان بعض الذي وعدهم قتل من قتل واسر من اسر ببدر"[١]
وفي سورة الزخرف في تفسيرقوله تعالى فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ{٤١} {أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ }الزخرف٤٢ قال "أو نريك الذي وعدناهم وهو الانتقام منهم في حياتك فانا عليهم مقتدرون ، قال ابن عباس : قد اراه الله ذلك يوم بدر.[٢]

ومما ينبغي ملاحظته على اصحاب هذا المذهب أن ابا جعفر النحاس لم ينسب هذا القول لأحد بعينه ولم يجعله أول الاقوال بل ذكر رأي مجاهد ثم قال "وقال غيره" ،وكذلك فعل ابن الجوزي حيث لم ينسبه الى احد بعينه فقال "قال المفسرون"،أما القرطبي فقد نقل هذا القول بعد ان فسر هذا الوعد بإظهار الدين وتمكينه في الارض ،وهذا يعني انه لا اجماع بين المفسرين حول معنى هذه الايات بل نستطيع أن نقول اكثر من ذلك وهو ان تفسير هذا الوعد وحصره في وقعة بدر ليس هو التفسير الراجح أو المقدم عند المفسرين بدلالة ما ذكرنا انفا.

المذهب الثاني : وحمل أصحاب هذا المذهب الوعد الرباني الموجود في هذه الايات بما سيقع من إذلال للكافرين في الدنيا ،وما سينزل بهم من العذاب من دون أن يحصروا ذلك بغزوة بدر

وممن ذهب الى ذلك الامام مجاهد بن جبر ففي قوله تعالى "وإما نرينك بعض الذي نعدهم"قال رحمه الله "يعني من العذاب في حياتك يا محمد أو نتوفينك فألينا مرجعهم"[٣]
وكذلك وجهها الامام الطبري فقد جاء عنه في تفسير الاية المعنية في سورة يونس : "وإما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من قومك من العذاب اونتوفينك قبل ان نريك ذلك منهم فالينا مرجعهم"[١]

١ـ تفسير القرطبي /٦ /٣٤٨، ابو عبدالله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، ١٤٠٥ ، دار احياء التراث العربي .
٢ـ تفسير القرطبي ١٦ /٩٢
٣ـ تفسير مجاهد ١ /٢٩٤ ، مجاهد بن جبر (ت ١٠٤ هـ) تحقيق عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي ، منشورات مجمع البحوث الاسلامية ، اسلام آباد .

وكذلك ذهب الامام ابن كثير في تفير الاية في سورة يونس ، قال رحمه الله تعالى: "يقول تعالى مخاطبا لرسولهﷺ (واما نرينك بعض الذي نعدهم) أي ننتقم منهم في حيلتك لتقر عينك منهم[٢] .

والى هذا ذهب السيوطي ايضا في تفسيره فقال (نريك بعض الذي نعدهم) به من العذاب في حياتك .. (او نتوفينك) قبل تعذيبهم .فالينا مرجعهم .[٣]

ولم يخج الصابوني في تفسيره عما تقدم فقال في تفسير الاية من سورة يونس " أي ان ارينك يا محمد عذابهم في الدنيا لتقر عينك منهم فذاك ، وان توفيناك قبل ذلك فمرجعهم الينا في الاخرة .[٤]

المذهب الثالث : وفسر اصحاب هذا المذهب هذا الوعد باظهار دين الله في حياتهﷺ يقول الطبري في تفسيره للاية في سورة يونس " قوله تعالى (وإما نرينك) شرط(بعض ما نعدهم)أي من اظهار دينك في حياتك .[٥]

وقال الامام الشوكاني في تفسيره " والمعنى ظغن حصلت منا الاراءة لك بعض الذي وعدناهم من إظهار دينك في حياتك"[٦]
نقول: بعد نقل هذه النصوص من من امهات التفاسير يجب ان لا يغيب عن بالنا امر مهم وهو ان النبي الذي وصفه الله تعالى بالرحمة المرسلة لم يكن متشوقا الى رؤية عذاب قومه الذين كذبوه حتى يكون عذابهم سببا في أن تقر عينهﷺ بذلك بل إنهﷺ في اشد ساعات الحرج وحينما بعث الله تعالى اليه ملك الجبال يستأذنه في ان يطبق على مكة الاخشبين ـ وهما الجبلان العظيمان اللذان يحيطان بمكة لم يزد على أن قال

---

١ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١ /١٥٧ ، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) توثيق وتخريج صدقي جميل العطار ، دار الفكر ـ بيروت .
٢ـ تفسير القرآن العظيم ٢ / ٤٣٤ ، ابو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)١٤١٢ ـ دار المعرفة ـ بيروت.
٣ ـ تفسير الجلالين / ٢٧٣ ، جلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي ، دار المعرفة ـ بيروت.
٤ـ صفوة التفاسير ١ /٥٨٤، محمد علي الصابوني .
٥ـ تفسير القرطبي ٨ / ٣٤٨ .
٦ـ فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير)٢ /٤٤٩ ،محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ)عالم الكتب ـ بيروت .

ﷺ " لعل الله يخرج من اصلابهم من يقول لا اله الا الله "[١] فلو كان عذاب قومه ﷺ يقر عينه لأجاب ملك الجبال لما جاء به، وهذا يعني أن ما يريد الله أن يريه لنبيه محمدﷺ هو غير عذابهم . ثم إن هناك مسألة أخرى يمكن ذكرها في هذا المقام وهي : أن جميع الايات التي تحدث عن هذا الوعد الرباني ، تتحدث عن امر غير مقطوع به من قبل الباري سبحانه ، بل هو مذكور بصيغة التردد بين امرين ؛ الحدوث وعدمه ، وحمله بعد هذا التردد على هزيمة المشركين والتمكينلدين الله يتقاطع مع الايات التي جزمت بوقوع الهزيمة للمشركين ،والتمكين لدين الله تبارك وتعالى ،كقوله سبحانه : (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) (القمر:٤٥).
وقوله تعالى : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبة:٣٣).
وقوله تعالى :(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (الصف:٨) .

فإذا كان النصر مقطوعا به في القرآن ، وإذا كان التمكين مقطوعا به كذلك فإن هذا الامر يقوي في أذهاننا ان يكون الوعد الرباني غير ما هومقطوع به في هذه الايات وانما هو خاضع لمشيئة الله تبارك وتعالى هو شيء آخر غير النصر والتمكين وهو ما نحاول معرفته في الصفحات التالية .

المذهب الرابع: وذهب أصحاب هذا المذهب الى ان هذه الايات إنما تخص أمة محمد ﷺ وليس المشركين وقد صرح القرطبي بنسبة هذا الرأي الى الحسن البصري وقتادة ففي تفسير قوله تعالى (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ{٤١} {أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ }الزخرف٤٢) قال : "وقال الحسن وقتادة هي في أهل الاسلام يريد ما كان بعد النبي ﷺ من الفتن . و(نذهبن بك) على هذا نتوفينك، وقد كان بعد النبي ﷺ نقمة شديدة فأكرو الله نبيه ﷺ وذهب به فلم يره في أمته إلا التي تقر به عينه وأبقى النقمة بعده، وليس من نبي الا وقد أري النقمة في امته " .[٢]

واى هذا المعنى ذهب الطبري وهو يفسر قوله تعالى في سورة الزخرف (فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون) : "يقول من امتك أو نريك الذي وعدناهم من العذاب وانت حي فإنا عليهم مقتدرون ، فقام النبي ﷺ فراجع ربه ،فقال وأي مصيبة أعظم من أن أرى أمتي يعذب بعضها بعضا؟ وأحي اليه : (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ

١ـ صحيح مسلم ٥ / ١٨١ .
٢ـ تفسير القرطبي ١٦ /٩٢ .

يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) (العنكبوت:٢) فأعلمه أن أمته لم تخص دون الامم بالفتنوأنها ستبلى كما بليت الامم، ثم انزل عليه : (رب إما تريني ما يوعدون * رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) (المؤمنون ٩٣ ـ ٩٤) فأعاذه الله ولم ير من أمته إلا الجماعة والالفة والطاعة"[١] .

ويمكن أن يوجه الى هذا الرأى انتقادان :
الاول : ان سياق الايات يجعل الخطاب متجها بصورة واضحة الى المشركين وتحويله ليكون خطابا لأمة محمدﷺ أمر يأباه السياق.
والثاني : أن جميع هذه الايات جاءت في معرض البشارة والامتنان على النبي ﷺ وليس في معرض إخبارهﷺ عما سيقع لأمته من الفتن ، وهذا واضح لا يحتاج الى دليل .

المذهب الخامس : وذهب أصحاب هذا الرأي الى اعتبار النسخ في هذه الايات ، نقل ذلك ابن الجوزي في نواسخ القرآن ولم ينسبه لأحد بعينه ، قال رحمه الله قوله تعالى : (وإما نرينك بعض الذي نعدهم) زعم بعضهم أنها منسوخة بآية السيف فكأنه ظن أن معناها اتك قتلهم فلعلك رأيت بعض الذي نعدهم)[٢] ثم عقبرحمه الله على هذا الرأي بقوله " وليس هذا بشيء "[٣]

المسألة الخامسة : محاولة معرفة المراد من الوعد والوعيد عند الاطلاق :لا شك أن من الوسائل المتفق عليها في تفسير أي مفردة قرآنية من حيث الاصطلاح أن يرجع الى القرآن الكريم نفسه إن كان لها وجود في مكان آخر وأن لا تصرف عن ظاهرها الا اذا كان هناك مانع من شرع أو عقل يمنع من حملها على ذلك الظاهر، ولكي نتعرف على مظنة مراد الله تبارك وتعالى من الوعد المذكور في الايات الخمسة آنفة الذكر لا بد لنا من الرجوع الى القرآن الكريم عما اذا كان قد فسر الوعد الذي أجمله في هذه الايات ، إذ من القواعد أن المجمل يحمل على المفصل ،كما أن المطلق يحمل على المقيد ، والعام يحمل على الخاص .

في الايات الخمس التي هي محور بحثنا هناك جملة تتكرر فيهن جميعا وهي قوله تعالى (نريك مانعدهم) من دون أن يفسر هذا الوعد في هذه المواطن كلها ، لذا فهو يعد من المجمل الذي يفسره ما فصل في موطن آخر إن وجد ، فهل ورد تفصيل في القرآن لما وعد الله به عباده في غير هذه المواطن الخمسة؟ ، الجواب على ذلك ؛نعم

١ـ تفسير الطبري ٧ / ٢٩٣ .
٢ـ نواسخ القران ١٨ ،جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) دار الكتب العلمية ـ بيروت .
٣ـ المصدر السابق ١٨.

فقد صرح القرآن الكريم في مواضع كثيرة جدا ، انه وعد عباده المؤمنين بالجنة ونعيمها ، ووعد عباده الكافرين بالنار وعذابها ، وهذا أمر لا يحتاج الى عناء من أجل إثباته ، ونكتفي للتدليل عليه ببضع آيات :

اولا : الايات التي تصرح بحقيقة ما وعد الله عباده المؤمنين :
كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً) (النساء:١٢٢) .
وقوله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) (المائدة:٩).
وقوله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة:٧٢).
وقوله تعالى (لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ) (الزمر:٢٠).
وقوله تعالى : (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (الحديد:١٠) وأجمع المفسرون على أن الحسنى هنا هي الجنة [١].

ثانيا : الايات التي تبين حقيقة ما وعد الله به الكافرين :

كقوله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ) (التوبة:٦٨).
وقوله تعالى : (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) (يونس:٤).
وقوله تعالى : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) (الرعد:٣٥) .

١ـ انظر تفسير ابن كثير ١ / ٥٤٢ ،واحكام القران للجصاص ٣ / ٢٢٧ ابو بكر احمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠ هـ) ط١ ـ ١٤١٥ ، دار الكتب العلمية ، وتفسير السعدي ١ / ٨٣٩ ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي تحقيق ابن عثيمين مؤسسة الرسالة بيروت ـ ١٤٢١ ، واضواء البيان للشنقيطي ١ / ٢٤٨ ، محمد الامين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ)١٤١٥ـ دار الفكر ـ بيروت.

فهذه الايات التي ذكناها وكثير غيرها تنص صراحة على أن الله تبارك وتعالى وعد المؤمنين بالجنة والجزاء الجزيل ، ووعد الكافرين بالنار والعذاب الاليم ، بغض النظر عما وعد به الكفار من الهزيمة والاذلال ، وما وعد به المؤمنين من النصر والتمكين في الدنيا . وأن المتبادر الى الذهن عند الاطلاق هو الوعد الاخروي لسببين :

الاول : أن هذا الوعد المجمل في الايات الخمسة آنفة الذكر فصله وبين معناه القرآن الكريم في الايات التي ذكرناها وبالتالي يجب حمل المجمل على المفصل ولا إجتهاد في مورد النص .

وثانياً: عدم وجود مانع شرعي ، أو مانع عقلي من حمل النص على ظاهره ، وإذا انتفى وجودالمانع الشرعي أوالعقلي وجب حمله على ظاهره كما نص على ذلك العلماء في كتب الفقه والاصول ؛ فحينما اختلف العلماء في حقيقة الاسراء هل كان بروحه ﷺ ام كان بروحه وجسده ، كان من أبرز الدلة من قالوا ان الاسراء كان بالروح والجسد هو مادلت عليه ظواهر النصوص مع انتفاء المانع من حملها على الظاهر : قال الامام النووي في هذا الصدد : " والحق الذي عليه اكثر الناس ، ومعظم السلف ، وعامة المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين ، أنه أسري بجسده ﷺ ، والاثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ولا يعدل عن ظاهرها الا بدليل ،ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج الى تأويل"[1]

إذن فصرف هذا الوعد المذكور في ايات بحثنا عن ظاهرها أمر يحتاج الى دليل ، وعد وجود المانع من حملها على ذلك الظاهر يقوي ما نريد إثباته ،فلماذا لانقول ان الله بشر نبيه محمد ﷺ بوقوع الاسراء مع ايماننا أنه قد وقع فعلا ، وكيف نخصص ما وعد الله به الناس بما وقع للمشركين يوم بدر وهو وعد خاص لا ينصرف اليه الذهن الا بدليل ، ولا دليل هنا ، وإنما الاصل ابقاء النص على ظاهره وتفسير الوعد في هذه الايات بما فسره القرآن الكريم نفسه .

المسألة السادسة :ربط الوعد بالإراءة في آيات البحث بما هو موجود في سورتي التوبة والنجم :

لو استعرضنا الايات التي تشكل محور بحثنا ، لوجدنا أن هذه الايات تشترك في أمر واحد ، وهو الوعد بالإراة ، فضلا من الله تبارك وتعالى على نبيه ﷺ فقوله تعالى (نريك) لفظ مشترك بينهن جميعا ، وتحديد الوعد الرباني لمحمد ﷺ بالإراءة يجعل حدود بحثنا ظمن إطار الايات التي تتحدث عن الرؤية .

وإذا استعضنا القران الكريم وحاولنا أن نحدد الايات التي تتحث عن اراءته ﷺ أو عما رأى ﷺ لوجدنا شيئا ينفعنا في بحثنا هذا . فالوعد بالاراءة من غير آيات بحثنا ورد مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة الاسراء في الاية التي تتحدث عن الغاية من الاسراء قال تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى

---

٣. شرح النووي على مسلم ٢ /٢٠٩ .

الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الاسراء:١) فكأن الله تبارك وتعالى حينما وعد نبيه ﷺ بأنه سيريه ما وعد به عباده من جنة أو نار أراد أن يذكرنا بأن الغاية من الاسراء هو إراءة النبي ﷺ ما وعد به عباده الذي عبر عنه بـ (من آياتنا) لانه لا أعظم ولا أدل على الله تعالى من أن يرى العبد الجنة والناربعينيه.

والكلام عما رآه النبي ﷺ من الايات الكبرى ، ورد كذلك في القرأن الكريم في آيتين في سورة النجم وهما قوله تعالى : (أفتمارونه على يرى) (النجم ١١) وقوله تعالى : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) (النجم ١٨) وهما من الايات التي تتحدث عن الاسراء والمعراج ، فلا وجود في القران الكريم حديث عن الاراءة أو الرؤية الا وهو مرتبط بالاسراء والمعراج .

المسألة السابعة : الوجوه الواردة في القرآن والسنة في تحقيق هذا الوعد.
إن المستعرض للاحاديث التي تتكلم عن الاسراء والمعراج يجد أن النبي ﷺ قد صرح بوجوه متعددة عما أراه الله تبارك وتعالى مما وعد به عباده .

ولو أردنا أن نستعرض في أذهاننا الصور المحتملة للإراءة الموعودة بنص القرآن الكريم لاستطعنا أن نحصي ثلاثة انواع من الرؤية من حيث التقسيم العقلي الممكن وهي الاتي :

- الرؤية البصرية
- الرؤية القلبية
- الرؤية المنامية

ثم نستطيع أن نقول بعد ذلك أن الرؤية يمكن أن تكون حقيقة في الموعود به . ويمكن ان تكون من باب المجاز .

الان وبعد هذا لا بد أن نسأل أنفسنا ترى ماذا تحقق للنبي ﷺ من هذه الانواع من الرؤى ؟

اولاً : الرؤية البصرية: والمقصود من الرؤية البصرية تحقق العلم بالشيء من خلال انعكاس صورته في العين باعتبار أن العين من أهم وسائل المعرفة، ولهذا حينما تكلم رب العزة عن درجات العلم ذكر العين فقال سبحانه وتعالى (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ) (التكاثر:٣ ـ ٧) ، فالعلم الذي يقوم على الحس والمشاهدة من

أرسخ أنواع العلم وآكدها ، ألم تر الى سيدنا ابراهيم حينما طلب اليقين القلبي لم يجد ما يحقق به ذلك الاطمئنان الا بالرؤية البصرية :قال تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (البقرة:٢٦٠)

فإذا كان للرؤية البصرية كل هذا السلطان على القلوب هل يجوز لنا أن نتصور أن لا تحقق هذه الرؤية للنبي ﷺ وهو النبي الذي أراد له رب العزة أن يكون خاتم الانبياء والمرسلين . فمما يشهد لنا على صحة ما نذهب اليه من إراءة الله لنبيه ﷺ ما وعد عباده به في الدنيا جملة من الاحاديث النبوية الشريفة.

- فقد روى انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال "رأيت ليلة أسري بي مكتوب على باب الجنة :الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر ...الحديث "[١]
- وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ" رأيت ليلة أسري بي رجلا يسبح في نهر ويلقم الحجارة فسألت من هذا؟ فقيل لي آكل الربا"[٢]
- وعن أنس رضي الله عنه قال "سمعت رسول الله ﷺ يقول :رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟فقال خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب افلا افلا يعقلون "[٣]

١ـ المعجم الاوسط / ٧ / ١٦ ، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) تحقيق ابراهيم الحسيني مطبعة الحرمين ـ مكة.

٢ ـ مسند أحمد ٥ / ١٠ ، ابو عبد الله احمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ)، دار صادر بيروت

٣ ـ مسند ابن المبارك /١٥ ، للامام عبدالله بن المبارك (ت ١٨١ هـ) تحقيق صبحي السامرائي ،ط١ ـ ١٤٠٧ ، مكتبة المعارف ـ الرياض . ومسند ابي يعلى ٧ /٦٩ ، احمد بن علي بن المثنى الموصلي (ت ٣٠٧ هـ) تحقيق حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق . وكتاب الصمت وآداب اللسان /٢٤٩ ، عبدالله بن محمد بن عبيد بن ابي الدنيا (ت ٢٨١ هـ) تحقيق ابو اسحق الجويني ط١ ـ ١٤١٠ ، دار الكتاب العربي بيروت . ومصنف ابن ابي شيبة /٨ /٤٤٦ ، والمعجم الاوسط للطبراني /١ / ١٣١ .

- وعن أنس ايضا رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " دخلت الجنة فإذا انا بنهر من اللؤلؤ فضربت بيدي الى ما يجري في الماء فإذا مسك اذفر قلت ما هذا يا جبريل فقال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله "[1]

والذي يجعلنا نطمئن الى أن هذه الرؤية المذكورة في هذه الاحاديث رؤية حقيقية بمعنى أنها بصرية ثلاثة أمور :

الأول: ان اغلب العلماء ذهبوا الى ان الاسراء كان بالروح والجسد ومعنى ذلك أن ما اخبر النبي ﷺ عنه أنه رآه ليلة الاسراء والمعراج فإنما يحمل على الحقيقة إذ لو لم تكن الرؤية حقيقة فلا معنى لكون االسراء حدث بالروح والجسد، فكيف يعقل ان يسري الله تعالى بنبيه ﷺ ـ بروحه وجسده ـ ثم لا تكون الرؤية المتحققة حقيقية .

الثاني : أن النبي ﷺ عبر عن تلك الرؤية بقرينة مادية تمنع صرف الرؤية المتحققة الى أي معنى مجازي أخر وهو قوله ﷺ " دخلت الجنة ليلة اسري بي " فالدخول لا يمكن الا ان يكون حقيقيا ، اذ لم يعهد في كلام العرب خروجه الى معنى أخر ، فإذا سلمنا بذلك سلم لنا أن لازمه لا بد أن يكون هو الآخر حقيقيا ، فلا يعقل ان يدخل شخص الى مكان معين ويخبر أنه رأى شيئا ما في ذلك المكان ثم يأتي من يقول لنا إن الرؤية غير حقيقية ،مع عدم وجود المانع من حمل اللفظ على ظاهره .

الثالث : أن الرؤية في العربية حينما تطلق من دون قرينة صارفة الى جهة معينة أو مانعة ، فإنما يراد بها الرؤية الحقيقية البصرية المتحققة بواسطة العين الباصرة.

ثانياً : الرؤية القلبية : ولا نقصد بهذه الرؤية هنا حصول اليقين القلبي في أمر من الامور كقول الشاعر ابي الاسود الدؤلي :

رأيت الله خالق كل شيء هداهم واجتبى منهم نبيا[2]

أو كقول الشاعر أبي العلاء المعري:

رأيت قضاء الله أوجب خلقه وعاد عليهم في تصرفهم سلبا[1]

---

١ ـ مسند أحمد / ٣ / ١٠٣ ،المستدرك على الصحيحين للحاكم /١ /٨٠ .
٢ ـ انظر ديوان أبي الاسود الدؤلي

فاشاعران هنا لا يتحدثان هنا عن رؤية حقيقية ،بمعنى انكشاف المرئي وتجليه امام الرائي، وإنما هما يتحدثان عن حصول اليقين القلبي في المسألة التي يريدان طرحها، وليس هذا موضوع بحثنا وإنما نريد ان نثبت ان الله جل وعلا كشف الحجب أمام النبيﷺ فرأى ما لم يره الجالسون من حوله لأنه نبي متصل بوحي السماء

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ" خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة قذكر فيها أمورا عظاما ثم قال من أحب أن يسألني عن شيء فليسأل ..... وفيه فسكت ثم قال : عرضت علي الجنة والنار أنفافي عرض هذا الحائط فلم أر كالخير والش"ر [٢]

وعن عبدالله بن عمر أن النبي صلى ﷺ قال :" ايها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله فإذا كسق أحدهما فافزعوا الى المساجد فوالذي نفسي بيده لقد عرضت علي الجنة حتى لو أشاء لتعاطيت بعض أغصانها وعرضت علي النار حتى أني لأطفئها خشية أن تغشاكم" [٣]

وفي رواية البخاري عن ابن عباس :أن النبي ﷺ قال لما كسفت الشمس."رأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع منها" [٤]

وفي المعجم الكبير للطبراني عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال :" رأيت المار فرأيت فيها عمران بن حرثان متكئا على قوسه وكان يسق الحاج ورأيت صاحبة القطة من حمير" [٥]

وفي صحيح ابن حبان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول ﷺ "عرضت علي النار فرأيت فيها عمرو لحيبن ممتعة بن خندف يجر قصبه في النار وكان أول من غير عهد ابراهيم وسيب السوائب وكان أشبه شيء بأكثم بن

---

١ ـ انظر ديوان ابي العلاء المعري
٢ـ صحيح البخاري ١٣٦/١ ، محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) دار الفكر ـ بيروت . صحيح مسلم ٩٠/٧ .
٣ـ مسند أحمد ٥٩/٢ .
٤ ـ صحيح البخاري ١١١/١ ،التخويف من النار لإبن رجب الحنبلي ٣٢ .
٥ ـ المعجم الكبير للطبراني ١٧ /٣١٥ ،سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)تحقيق حمدي السلفي ط٢ احياء التراث العربي.

ابي الجون فقال الاكثم يارسول الله هل يضيرني شبهه قال إنك مسلم وهو كافر"[١].

وفي كنز العمال للمتقي الهندي تصريح من النبي ﷺ بأن كل ماوعد الله به عباده قد عرض عليه ﷺ ،فعن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال : والذي نفسي بيده ما من شيء وعدتموه في الاخرة إلا عرض علي في مقامي هذا" [٢]

وهذا النص لا يمكن تأويله الى أي معنى آخر ،أو صرفه عن ظاهره إذ لا موجب لذلك ولا مانع من قبول ذلك الظاهر.

ثالثا:الرؤية المنامية/ فقد أرى الله سبحانه وتعالى نبيه محمد ﷺ ماوعد به عباده في الدنيا عن طريق الرؤيا في المنام ، ومعلوم أن رؤيا الانبياء حق لا مراء فيها ولا أدل على ذلك من قصة ابراهيم عليه السلام مع ابنه اسماعيل التي ذكها القرآن فحينما قص ابراهيم عليه السلام الرؤيا على ولده قال :َ(يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى)(الصافات: من الآية١٠٢) وحينما أجاب اسماعيل عليه السلام قال : (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)(الصافات: من الآية١٠٢) حيث عبر عن الرؤيا بالامر وهو ماعده العلماء تأصيلا للقاعدة الفقهية من اعتبار رؤيا الانبياء تختلف عن رؤيا غيرهم من البشر . إذا ما أضفنا إليه ما صح عن رسول الله ﷺ في الاحاديث في هذا الباب :

اخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها "أول مابدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح[٣] .

---

١ ـ صحيح ابن حبان /١٦ /٥٣٥. محمد بن حبان بن احمد (ت ٣٥٤ هـ) تحقيق شعيب الارنؤوط ، ط٢ ـ ١٤١٤، مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

٢ ـ كنز العمال ١٤ / ٥٤٣ . المتقي الهندي (ت ٩٧٥ هـ) تحقيق الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

٣ـ صحيح البخاري٣/١ ،مسند أحمد ١٥٣/٦ ،مصنف عبد الرزاق ٣٢١/٥، ابو بكر عبدالرزاق (ت ٢١١ هـ) تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي منشورات المجلس العلمي ـ باكستان ، وسبل السلام ١٦٤/٣،محمد بن اسماعيل الصنعاني (ت١١٨٢ هـ) ط٤ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ١٩٧٩ ، نيل الاوطار ٢٧٦/٢ ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ)دار الجيل بيروت .

وعن أبي رزين العقيلي قال قال رسول الله ﷺ :"الرؤيا جزء من أربعين أو ستة وأربعين جزءا من النبوة" .[١]

قال ابن حجر رحمه الله معلقا على هذا الحديث :" قوله دخلت الجنة أو دخلت الجنة "يحتمل أن يكون ذلك في اليقظة أو في النوم فبين هذا الحديث [يعني الرواية الثانية]أن ذلك كان في النوم " .[٢]

فمن الاحاديث التي يستشهد بها على هذه الرؤية:

- ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال دخلت الجنة أو أتيت الجنة فأبصرت قصرافقلت لمن هذا ؟قالوا لعمر بن الخطاب ، فأردت أن أدخله فلم يمنعني إلا علمي بغيرتك، فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله بأبي أنت وامي يانبي الله أوعليك أغار"[٣]
- .وفي رواية عن ابي هريرة " بينا انا نائم رأيتني في الجنة ... الحديث "[٤]

* وكذلك ما رواه الترمذي عن أبي بريدة قال" اصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالا فقال : يا بلال بم تستبقني الى الجنة ما دخلت الجنة قط الا سمعت خشخشتك أمامي ، دخلت البارحة فسمعت خشخشتك أمامي فأتيت على قصر مربع فقلت لمن هذا القصر قالوا لرجل من العرب فقلت : انا عربي لمن هذا القصر ؟ قالوا لرجل من أمة محمد ﷺ فقلت :انا محمد لمن هذا القصر ؟ فقالوا لعمر بن الخطاب"قال الترمذي : (حديث حسن صحيح غريب ،ومعنى هذا الحديث ، أني دخلت البارحة الجنة يعني في المنام،كأني دخلت الجنة ،وروي عن ابن عباس : رؤيا الانبياء وحي)[٥]

---

١ ـ مسند أبن الجعد ٢٥٦، علي بن الجعد بن عبيد الجوهري (ت ٢٣٠ هـ) ، تحقيق ابي القاسم عبد الله بن محمد البغوي وعامر احمد حيدر ، دار الكتب العلمية ـ بيروت . وا لمعجم الكبير للطبراني ٢٠٥/١٩ ،سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨ / ٣٩٨ .

٢ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩ /٣٢٥ ، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ط٢ ، دار المعرفة، بيروت .

٣ ـ صحيح البخاري ٢٠٠٣/٥ .

٤ ـ المصدرنفسه ٣١٤٦/٣ .

٥ ـ سنن الترمذي ٥ /٢٨٢ .، ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، ١٤٠٣ ، دار الفكر ـ بيروت .

وفي الحديث عدة مسائل يجب الوقوف عليهما .

الاولى /أن النبي ﷺ صرح أنه كان كثيرا ما يدخل الجنة ، وأن ما ذكره ﷺفي هذا الحديث إنما اراد به التمثيل والاستشهاد على كثرة ما كان يرى بلالا في الجنة ،يدل على ذلك قوله ﷺ "ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي"

الثانية/ أن النبي ﷺ قال" دخلت الجنة" ولم يقل رأيت كأني أدخل الجنة ثم إذا سلمنا أن رؤيا الانبياء وحي كما نص على ذلك حبر الامة فلا يبقى داع لأن ناتي بكاف التشبيه التي اوردها الترمذي في شرحه للحديث حينما قال معنى هذا الحديث " إني دخلت البارحة الجنة" في المنام كأني دخلت الجنة " إذ لا يجوز لنا أن نأتي بقيود لم ترد في النص تكون سببا في عدم حمله على الظاهر المصرح به.

الثالثة/أن معنى قول الترمذي بعد ايراده للحديث بأنه (حديث حسن صحيح غريب) حكم منه بصحة الحديث ومعنى الغرابة المذكورة هنا انفراد أحد الرواة في سلسلة اسناده ، والتفرد مع توفر شروط صحة الرواية لا يضر بصحة الحديث مطلقا.

إذا فبعد كل هذا يتضح لدينا بما لا يقبل الشك أن جميع صور الرؤية الممكنة لما وعد به عباده من جنة أو نار قد حققها الله تبارك وتعالى لنبيه الكريم ﷺ من اجل تثبيت فؤاده عليه افضل الصلاة والسلام :

فقد أراه الله ذلك عيانا في الاسراء والمعراج ، وأراه ذلك بقلبه وهو في الصلاة من دون أن يشاركه المؤمنون الذين كانوا يصلون معه في تلك الرؤية ، وأراه ذلك في منامه ﷺ كما صرح هو بذلك في الاحاديث التي سقناها قبل قليل.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث البسيط أود أن اسجل اهم النتائج التي توصلت اليها :

- إن الاسراء والمعراج هو تكريم من الله لنبيه ﷺ وليس دليلا على نبوته ، لأن المعجزات من شروطها أن تكون أمام من يراد اعجازهم هذا اولا ،وثانيا إن الثمرة المرجوة من المعجزة هي قيادة الناس الى الايمان . وكلا هذين الامرين غير متوفرين في حادثة الاسراء والمعراج فلم تحدث أمام الناس ولا تحدى النبي ﷺ الناس به هذا من جهة ،ومن جهة أخرى ،كانت هذه الحادثة سببا في أن أفتتن ضعاف اليمان في إيمانهم بسببها.
- إن القران الكريم تحدث كثيرا عما سيقع من الحوادث مما هو أقل شأنا من الاسراء والمعرج ، وبالتالي فلا غرابة إذا ما وجدنا أن بالمكان توجيه نصوص معينة كأرهاصات بوقوع مثل هذا الامر العظيم.

- أن هذا البحث لم يخرق إجماعا للمفسرين في هذه المسألة، الامر الذي يشجعنا على إدامة النظر في هذه الايات التي اختلف المفسرن في توجيهها,

- إن هذا التوجيه الذي طرحناه في هذا البحث اكثر استيعابا وانسجاما مع ماورد من أحاديث عنه ﷺ في هذا الباب ، فقد صرح النبي ﷺ بما لا يقبل الشك أنه " ما وعدتم بشيء الا عرض علي"وهو نص في معرض الخلاف، أو قل هو من باب تفسير القرآن بالسنة التي أرادها الله أن تكون بيانا لكتاب الله سبحانه وتعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى اله على رسوله الامين وآله وأصحابه الطاهرين الى يوم الدين .....آمين